ثورة فى الأخلاق

الأستاذ محمد يوسف موسى

كان من حكمة الله ورحمته بالإنسانية أن أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم للعرب خاصة وللناس كافة على فترة من الرسل ، والناس فى عمى عن الحق ، وضلال عن الهدى ، وجهالة شملته من أدناه إلى أقصاه . فقد كان من الناس قبل بعثة المصطفى من قال : ما يهلكنا إلا الدهر ، ومن زعم أنه لا يُبعث من يموت ، ومن يعبد إلهين اثنين واحداً للخير وآخر للشر ، ومن جعل يقيم من الأحجار أرباباً وأصناماً يعبدها ويقدم لها القرابين حتى من أبنائه وأفلاذ كبده ! هذا فى ناحية العقيدة . أما فى ناحية الخلق والاجتماع ؛ فكان البغى والعدوان ، وأكل مال اليتيم ، وهضم حق الضعيف ، ونصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، واستبداد الأكاسرة والقياصرة بمن استرعاهم الله من خلقه . كان الأمر كذلك وشراً من ذلك ، حتى نظر الله للانسانية المهضومة ، والقلوب الحائرة ، والنفوس المتطلعة لنور يهدى به الله خلقه بعد ضلال ، ورشد يخرجهم من الظلمات ، ورحمة تعمهم جميعاً ، فكان محمد هو الهدى والرشد والرحمة والنور ، وبه تمت نعمة الله على خلقه وقامت حجته عليهم ، بما جاء به من عقيدة وتشاريع وأخلاق ، بها صلاح العالم ما أخذ بها ومشى فى ضوئها .

ولست أريد الآن أن أفصّل ما ذكرت ، أو أن أوضح ما أجملت ، فحسبى فى مقامى هذا الإشارة والإجمال ، وفى ذلك بلاغ لقوم يعلمون . إنما الذى أرجو أن ألفت إليه النظر بقوة هو أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت ثورة بكل معنى الكلمة ؛ ثورة على العقائد الباطلة ، والفوضى الشاملة ، والأخلاق الرذلة السيئة . كانت ثورة على هذا كله ؛ وإن فى بعضه ما كان طيباً فى أصله ، ثم لما طال به الزمن تغير على أيدى الناس شيئاً فشيئاً ، حتى انقلب سوءاً وشراً ! فما أجدرنا إذاً أن نبحث التراث الذى وصل إلينا ، بلا تفرقة بين متبعه وأصحابه ، ونأخذ بما فيه من حق ، ونثور على ما اندس إليه من باطل فنبعده عنه ، وبخاصة فى ناحية العقيدة التى بها صلاح المرء وسلامه ، والأخلاق التى يتعايش بها الناس ويحكّمونها فى حياتهم وعامة أحوالهم .

وعلى الآخر ، ويتناول بالتفسير ما ذهبنا إليه من عناصر تلك القضية . ما هذا ؟! كيف يفهم هؤلاء الأدب ؟ أيكفى أن يقرأوا القصة من القصص فى سيارة أو عربة ترام ليصدروا عنها حكمهم وهم يهزلون ؟! لا . لا ... ينبغى عليهم أولاً أن يفهموا أن الذى بين صاحب شهرزاد وصاحب أحلام شهرزاد ، مختلف جداً . فأحدهما مشرّق والآخر مغرّب ، وأحدهما يرمى إلى غرض يهدف الآخر إلى ضده . أحدهما يعد المرأة شهوة تفسد كل شىء . المرأة عند أحدهما شيطان مريد ، وعند الثانى ملاك بار رحيم . فليفهم الحراسون قضية الكاتبين على هذا النحو . ثم ليقرأوا القصتين من جديد على هذا النور الجديد . ليضعوا عناصر القضية مرتبة أمام بصائرهم . ليقرأوا شهرزاد أولاً ، ثم ليقرأوا القصر المسحور ثانياً ، ثم ليقرأوا أحلام شهرزاد بعد ذلك ، وليذكروا من هو كاتب شهرزاد وما مزاجه فى المرأة ، وما رأيه الذى يفرق به بين جسدها وبين روحها ، وليذكروا ، ما لا بنى يكتبه عنها ، وما يفخر دائماً أنه مذهبه فى كل ما يتعلق بها . ثم ليذكروا من هو كاتب أحلامها وما طريقته فى الأدب ، وما رأيه فى المرأة ، وما ذا كتب وما يزال يكتب عنها

ليفعلوا هذا ، أو فلينتظروا حتى نعرض لهم كل ذلك .

قالت فاتنة : « أكتب ذلك يا صديقى عنى ، فقد آن أن تجد المرأة من ينافح عنها ، ويكافح فى سبيلها . »

دمشق

محمد يوسف موسى

وأرى ، قصداً فى القول والورق ، ألا أتحدث الآن على ناحية العقيدة وما شابها من باطل يفعل بعض المتصوفة وغيرهم من الذين أفسد تفكيرهم فلسفات تلقفوها من هنا وهناك ، دون أن يعنوا بالفحص عنها والتثبت منها ، فحادوا عن سواء السبيل . وإذاً فلتكن هذه الكلمة مقصورة على ما يجب من ثورة فى ناحية الأخلاق .

ورثنا عن رجالاتنا وفلاسفتنا المسلمين — أمثال ابن مسكويه والفارابى والغزالى — مذاهب فى الأخلاق ، بينت لنا الفضائل والرذائل بياناً فلسفياً ، وحددت السعادة التى يصح أن نسعى إليها ، ورسمت لها الطرق والسبل ، مستعينة فى ذلك كله بهدى القرآن والحديث وبآراء من الديانة المسيحية والفلسفة الأغريقية فكان من هذا المزيج ما نعرفه من الأخلاق الفلسفية التى تتوفر على دراستها فى الأزهر والجامعة علّها تهدينا السبيل السوى ، والتى جمدنا عليها فما غيّرنا منها شيئاً ، غافلين عن الزمن وتغيره وما جد من تطورات ونظم تقضى بأن نعيد النظر فى هذه الأخلاق هذه الغاية — أو السعادة القصوى — التى حددتها تلك المذاهب هى العلم التام والمعرفة الصحيحة بالعالم والله والملأ الأعلى . والوسائل إليها فى رأى الغزالى — الذى يعتبر إلى حد كبير ممثل هذا الضرب من الأخلاق — هى التخلى بفاضل الأخلاق ، والزهد فى الدنيا والإقبال على الآخرة . وهنا موطن من المواطن التى أدعو إلى الثورة عليها .

لم يجىء الإسلام ليمهد سبيل الراحة والسعادة الخاصة لقوم يقبعون فى الزوايا والمساجد يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ويقنعون بالتافه من الطعام والمرقع من الثياب والضرورى من حطام هذه الحياة الدنيا ، طلباً لما فى الدار الآخرة من جنات عرضها السموات والأرض ! لقد جاء الإسلام ، وقد بلغت الإنسانية رشدها ، فكان ديناً وسطاً لم يفصل الجسم ولا الروح بل عرف لكل حقه ؛ فلم يوجب التقشف ، ولم يحرم التمتع بما أودع الله من خير فى بطن الأرض وعلى ظهرها : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » !

(الحديث موصول)

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

إدارة البلديات — تنظيم

تقبل العطاءات بمجلس أسيوط المحلى لغاية ظهر ١٣ — إبريل ٩٤٣ عن توريد أغذية لمطعم الشعب وتطلب الشروط من المجلس نظير مائة مليم . ٣٥٣

إدارة البلديات — قسم الطرق

تقبل العطاءات حتى ظهر يوم ١٥ أبريل سنة ١٩٤٣ عن توريد مواد الرصف اللازمة لبلدية بنها وتطلب الشروط والمواصفات من الادارة مقابل مبلغ ٥٠٠ مليم للنسخه ٣٧٠